العرب
الخميس 2020/02/20
السنة 42 العدد 11623

ما بقي من رحلة لاريجاني للاستحواذ الإيراني على لبنان

دقت ساعة تحرّك العرب بمعزل عن واشنطن لإعادة بيروت إلى محيطها

الاتهامات تلاحق حسان دياب

ما زالت زيارة رئيس مجلس الشورى الإيراني علي لاريجاني إلى لبنان الذي يعيش وضعا صعبا تشكلت فيه حكومة جديدة برئاسة حسان دياب، تلقي بظلالها على الداخل اللبناني الذي يرى جزء كبير منه أن الزيارة تهدف إلى استحواذ إيران بالكامل على لبنان وإبعادها عن محيطها العربي، فيما تتابع واشنطن من جهتها عن كثب كل ما يحصل في لبنان من تغيرّات سياسية بما في ذلك زيارة لاريجاني، لكنها لم تصدر موقفا حاسما أو معارضا لحكومة حسان دياب ولا للخطوة الإيرانية السياسية المزوجة بتعلات الطابع البرلماني.

بيروت - أثارت زيارة رئيس مجلس الشورى الإيراني علي لاريجاني إلى لبنان في سياق عام يتجاوز الطابع البرلماني الذي حاول إضفاءه على الزيارة قراءات داخلية وخارجية متعددة ومختلفة.

فيما أبدت مصادر سياسية لبنانية تعجبها من الزيارة من حيث التوقيت مؤكدة أنها رسالة موجهة إلى المحيط العربي، بدت الإدارة الأميركية من جهتها مراقبة عن كثب هذه الزيارة بغية متابعة المسؤولين اللبنانيين ورد فعلهم حيال المواقف التي أدلى بها لاريجاني في بيروت كما رد الفعل على العروض التي قدمها بتوفير دعم إيراني غير مشروط للبنان.

ورأت مصادر سياسية لبنانية أن مسار رحلة لاريجاني من طهران إلى دمشق وصولا إلى بيروت قبل التوجه إلى بغداد، يرسم لمن يهمه الأمر، خارطة يراد منها إعادة التأكيد على النفوذ الذي تملكه إيران دخل سوريا ولبنان والعراق، وأن في ذلك رسالة للعرب والعالم حول حجم الاختراق النوعي الذي ما زالت طهران تحتفظ به في المنطقة.

ولفتت المصادر إلى ضرورة تسليط المجهر على زيارة لاريجاني إلى لبنان من زاوية موقع لبنان الحالي داخل المشهد الإقليمي وقرار بيروت الرسمي بعد استقالة حكومة سعد الحريري وتشكيل حكومة جديدة برئاسة حسان دياب.

وبينما صدرت عن أمين حزب الله، حسن نصرالله، دعوة إلى وقف الهجوم على الحكومة الجديدة والإدعاء بأنها حكومة حزب الله، قال رئيس كتلة حزب الله البرلمانية محمد رعد قبل ذلك إن "هذه الحكومة لا تشبهنا" في معرض نفي تبعية الحكومة للحزب.

ويطالب المعارضون لنفوذ إيران بعدم التقليل من المناورة الإيرانية تجاه لبنان، لاسيما أنها تأتي لتتحرك داخل فراغ، بسبب ما يشبه القطيعة العربية والدولية للبنان وعدم وضوح المواقف الخارجية حيال حكومة دياب.

ويعتقد الكثير من المتابعين أن المسؤول الإيراني هو الأول الذي يلتقي بالمسؤولين اللبنانيين منذ ولادة حكومة لبنان الجديدة، وأن ما عرضه من دعم إيراني غير مشروط يأتي معاكسا للاتجاه الخارجي العام الذي لم يوح بأي استعداد لمساعدة لبنان، وإن أوحى فذلك وفق شروط قاسية لا يملك لبنان وسائل تنفيذها. وقللت مراجع سياسية داخلية من أهمية عروض المساعدة التي اقترحها لاريجاني على رؤساء لبنان الثلاثة باعتبار أن إيران تكاد تكون دولة منكوبة بسبب العقوبات الاقتصادية التي تفرضها إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب، وأن عروضها لا تحظى بأي مصداقية لدى لبنان والعالم.

> جولة لاريجاني من طهران إلى دمشق وصولا إلى بيروت قبل التوجه إلى بغداد، ترسم خارطة تؤكد نفوذ إيران في هذه البلدان العربية

بيد أن أطرافا أخرى حذرّت من أنه في غياب أي بوادر دعم مالي عاجل من الخارج، فإنه سيسهل على بيروت قبول العروض الإيرانية أيا كانت بما سيوسع من دائرة الانخراط الاقتصادي لإيران داخل منظومة المال والاقتصاد في لبنان.

وبسبب وجود حكومات مختلطة من كافة التيارات استطاع لبنان رد العروض الإيرانية سابقا، لاسيما تلك المتعلقة بتسليح الجيش اللبناني، وأنه بسبب وجود تيارات سياسية تدافع عن علاقة بيروت بالمنظومة الغربية ردت بيروت عروضا روسية سابقة في هذا الصدد.

ويحذر مراقبون من أنه، وبالنظر إلى الظروف التي تشكلت فيها الحكومة ووضوح تبعيتها لأجندة حزب الله في الشكل والمضمون، فإن حكومة لبنان قد ترتكب سابقة لم تجرؤ عليها حكومات سابقة في تطبيع متقدم للعلاقات في أوجهها المختلفة مع إيران.

وتدعو مصادر دبلوماسية عربية إلى يقظة المحيط العربي من أجل مقاربة خلاقة في التعامل مع بيروت تمنع إيران من إيقاع لبنان الرسمي داخل النفوذ الإيراني. وتقول هذه المصادر إنه يجب تجنب وقوع العرب في خطيئتهم السابقة في العلاقة مع العراق حين تركوا هذا البلد وانسحبوا منه بعد الغزو عام 2003، ما سهّل هيمنة إيران على كامل مفاصل السياسة الاقتصاد والأمن في البلد.

وتخلص هذه المصادر إلى أن واشنطن ستتحرك ولو بعد حين لترتيب علاقتها الجديدة مع بيروت، وأن المباحثات اللبنانية الاستكشافية مع صندوق النقد الدولي قد تضع اللبنات الأولى للسياسة الدولية المقبلة التي ستقودها الولايات المتحدة حيال بيروت.

وتنصح المصادر العرب باستباق تطور العلاقة الأميركية مع لبنان بنسج علاقات تهدف إلى تأكيد الحضور العربي في مواجهة الزحف الإيراني.

أما في علاقة بواشنطن، فقد أرسلت إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب إشارات متفاوتة المعاني بشأن الموقف الذي ستتخذه من حكومة لبنان الجديدة برئاسة حسان دياب.

وفيما خرجت بعض التصريحات تلمح إلى أن الحكومة تابعة لحزب الله، وبالتالي سيتم التعامل معها أميركيا كما التعامل مع الحزب، رشحت معلومات أخرى من وزارة الخارجية الأميركية تفيد بأن الموقف الأخير للولايات المتحدة لم يتخذ بعد، وأن واشنطن تطلع يوميا على تقارير سفارتها في لبنان كما على تطور الأداء الحكومي اللبناني للبناء عليه.

وبحسب مصادر أميركية، فإن واشنطن لم تكترث كثيرا بزيارة لاريجاني وهي الأولى لمسؤول أجنبي يزور لبنان بعد تشكيل حكومة دياب.

ويرى مراقبون أن واشنطن لا تريد الدفع باتجاه انهيار لبنان وما يمكن أن يتسببه أمر ذلك من كارثة إنسانية بسبب وجود 1.5 مليون لاجئ سوري، وما يمكن أن ينجم من فوضى قد تهدد أمن إسرائيل.

ومواقف واشنطن التي عبر عنها وزير الخارجية مايك بومبيو ومساعده لشؤون الشرق الأدنى (المكلف برعاية التفاوض حول ترسيم الحدود اللبنانية الإسرائيلية)، ديفيد شنكر، جاءت رمادية تحتمل معاني كثيرة، إلا أنها لم تكن سلبية تجاه الحكومة الجديدة.

وكانت واشنطن قد لمحت إلى أنها غير مهتمة بالطبيعة السياسية لحكومة دياب التي تقف وراء واجهة وزراء تكنوقراط، وأنها ستراقب ما ستقدم عليه هذه الحكومة بغض النظر عمن يقف وراءها.

ولفت مراقبون إلى أن الإدارة الأميركية غير مهتمة بما يصدر من اتهامات ضد الحكومة اللبنانية بصفتها "حكومة حزب الله"، وأنها لن تعتبر الأمر دقيقا إلا إذا تبين أن الحزب يقف وراء منع هذه الحكومة من تنفيذ الإصلاحات.

وتقول مصادر أميركية مراقبة إن واشنطن لاحظت تراجع حزب الله ومحاولته التنصل من تهمة الهيمنة على حكومة بيروت بما يعكس رغبة الحزب في عدم الاصطدام بالمجتمع الدولي، كما لاحظت أن مواقف لاريجاني في بيروت لم تأت ضاغطة على حكومة دياب في تبني خيارات دون غيرها، بل إن في تصريحات لاريجاني في بيروت ما فهم منه أنه رسائل إيرانية لهذا المجتمع الدولي.

وتضيف المصادر أن واشنطن قرأت جيدا موقف أمين عام حزب الله حسن نصرالله الأخير الذي دعا إلى وقف الهجوم على الحكومة متبرئا من تبعيتها لحزبه. وتعتبر المصادر الأميركية أن لقاء لاريجاني في بيروت مع رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري كان ومهما لجهة تداعياته على ملف ترسيم الحدود اللبنانية الإسرائيلية، لاسيما وأن بري هو المكلف في لبنان بالتفاوض مع الأميركيين حول هذا الشأن. وتعول واشنطن كثيرا على مرونة في هذا الملف لتليين مواقفها المقبلة حيال لبنان وحكومته.

إسرائيل صديق تاريخي لإيران

بغداد - تلعب قنوات الاتصال الخفية دورا أساسيا في ترتيب العلاقات الدولية والأوضاع الإقليمية. وقد يبدو الظاهر في هذه الأدوار متجها نحو أهداف معينة بينما الواقع الخفي يشير إلى غير ذلك. ينطبق هذا المنطق السياسي على العلاقات الإسرائيلية الإيرانية التاريخية والاستراتيجية، رغم ما تشير إليه شعارات العداوة المصطنعة بينهما.

توثق هذه الحقيقة عدة كتابات وشهادات مخابراتية وسياسية، منها كتاب صدر حديثا من تأليف وزير الخارجية البريطاني الأسبق جاك سترو، الذي حمل عنوان "الوظيفة البريطانية". احتوى الكتاب على معلومات موثقة وتعليقات سياسية ذات أهمية كبيرة حول عمق العلاقات الإسرائيلية الإيرانية في مختلف الميادين.

ولا تقتصر الشهادات على توثيق للمعلومات المعلنة حول تزويد إسرائيل لإيران بالأسلحة خلال الحرب العراقية الإيرانية، بل تكشف عن تعاون استخباراتي بما يفضح زيف شعارات العداء الإيراني لإسرائيل. لم يكرر سترو الروايات القديمة حول الدعم التسليحي الإسرائيلي لطهران، بل أضاف قناعاته وتحليلاته القائلة إن الدعم الإسرائيلي لإيران كان من أجل أن تحقق طهران الانتصار على نظام صدام في الحرب ولأن تل أبيب وجدت هذا النظام خطرا عليها بعد أن عبأ الشارع العربي ضدها.

كانت فترة الحرب العراقية الإيرانية (1980 – 1988) الأكثر فضائحية لعلاقة إسرائيل بإيران التي احتاجت في تلك الفترة إلى السلاح. ويقول وزير الخارجية البريطاني جاك سترو "عام 1982 كان وزير خارجية حكومة الظل العمالية في بريطانيا يشكو داخل مجلس العموم من أن وزير الدفاع الإسرائيلي آنذاك أبلغه بأن دولته تجهز إيران بالأسلحة وأنه رد عليه بضرورة التوقف عن فعل ذلك، إسرائيل لم تفعل".

ويضيف "من بين أهم المعلومات التي كشفت عنها في كتابي هي أنه وخلال حرب إيران والعراق كانت إسرائيل المورد الغربي الوحيد والموثوق لأسلحة إيران. الناس لا يكادون يصدقون ذلك، أنا وثقت الأدلة على هذه المعلومات، بالمناسبة الطرفان لم ينفيا هذه المعلومات، كما تأكد من صحتها خبراء في الولايات المتحدة".

هذه العلاقة هي جزء من تعاون استخباري إيراني إسرائيلي، حيث قدّمت إيران المساعدة المعلوماتية لإسرائيل والتي أدت إلى نجاحها في ضرب مفاعل تموز النووي العراقي عام 1981 لمنع العراق من تطوير الطاقة النووية.

سمح الخميني بهجرة الآلاف من اليهود الإيرانيين بحسب المسؤول الإيراني الفار من إيران عام 1995 محمد زادة مقابل قطع غيار لطائرات الفانتوم. واجتمع مسؤولون إيرانيون وضباط إسرائيليون في فرنسا للتحضير لضرب المفاعل العراقي أوزيراك. وقد زوّدت طهران تل أبيب بصور وخرائط المنطقة التي يوجد فيها هذا المحوّل.

وعرضت على إسرائيل إمكانية هبوط طائراتها في تبريز عند الطوارئ. ورتّب صفقات السلاح وكذلك التعاون لضرب المفاعل العراقي الابن الأصغر لآية الله كاشاني الذي زار تل أبيب في الثمانينات، والذي رتب هجرة اليهود الإيرانيين إلى إسرائيل ضابط إسرائيلي اسمه أوري.

أقام في إيران خلال فترة الحرب العراقية الإيرانية ما لا يقل عن ألف مستشار وفني إسرائيلي داخل معسكر شديد الحماية والتنظيم شمال طهران حتى نهاية تلك الحرب. ورغم أن إيران تملك عدة مؤسسات نووية شبه متكاملة، فإن الغرب وإسرائيل قد سمحا لها بوصول البرنامج النووي إلى مرحلة قريبة من الاكتمال دون اعتراض جاد وباستبعاد للعمل العسكري خلال العشر سنوات الماضية.

يقول المسؤولون الإسرائيليون إن الهدف الاستراتيجي لطهران ليس تدمير إسرائيل، وإن النقاش يجب أن يدور مع الإيرانيين حول كيفية دمجهم في منظومة الأمن الإقليمية دون التعرض لإسرائيل. يقول وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق شلومو بن عامي "السؤال المطروح اليوم ليس حول تحديد متى ستصبح إيران قوة نووية وإنما حول كيفية دمجها في سياسة الاستقرار الإقليمي قبل أن تمتلك تلك القوة. إيران لا يدفعها هوس بتدمير إسرائيل، وإنما إصرارها على المحافظة على نظامها وتثبيت نفسها كقوة إقليمية استراتيجية إزاء إسرائيل والدول العربية".

وعلى مستوى رعاية النظام الإيراني لليهود تشير المعلومات إلى أن عدد يهود إيران في إسرائيل يتجاوز "المئتي ألف شخص" يتلقون تعليماتهم الدينية من مرجعهم في إيران الحاخام الأكبر يديديا شوفط المقرب من حكام إيران. وهؤلاء لديهم نفوذ واسع في التجارة والأعمال الحرة والمقاولات العامة. كما أن لهم تأثيرا سياسيا ونفوذا كبيرا في قيادة جيش الدفاع الإسرائيلي.

جاك سترو

إسرائيل كانت المصدر الوحيد لأسلحة إيران خلال حربها ضد العراق

فريدريك هوف

طهران تعتبر الرياض وبعض العواصم الخليجية عدوها الأول

عام 2003، قدمت طهران للأميركيين وثيقة عبر السفير السويسري تيم غولديمان، وقع عليها المرشد الأعلى علي خامنئي وسربها تريتا بارسي، رئيس المجلس القومي الأميركي الإيراني وأستاذ العلاقات الدولية في جامعة هوبكنز في كتابه "التحالف الغادر".

تعطي الوثيقة انطباعا هاما عن التفاهمات الأميركية الإيرانية الإسرائيلية، وحيثيات اتفاق جنيف النووي. وقد عرضت طهران يومها وقف دعمها لحماس والجهاد الإسلامي، والضغط على المجموعتين لوقف العمليات ضد إسرائيل، ونزع سلاح حزب الله وتحويله إلى حزب سياسي وفتح البرنامج النووي الإيراني أمام عمليات التفتيش الدولية، والتعاون الكامل في ملف مكافحة الإرهاب وخاصة تنظيم القاعدة، والقبول بإعلان بيروت الصادر عن القمة العربية في بيروت. لكن يبدو أن الصفقة اقتصرت على التعاون في الساحة العراقية.

التفاهم الأمني بين إسرائيل وإيران مستمر، بحسب غابي سيبوني، خبير المخاطر والقائد السابق في لواء النخبة الإسرائيلي، والذي دعا إلى ضرورة فتح قنوات تفاهم أمنية والاستمرار في تعميق التعاون الأمني بين إيران وإسرائيل لمحاربة "السلفية الجهادية التي حلت محل العدو العراقي في الثمانينات"، كما أن طهران ترى أن الخطر متمثل في السعودية وبعض دول الخليج وليس في إسرائيل، وهو ما سربه السفير السابق للولايات المتحدة، فريدريك هوف، حيث قال إن مسؤولين إيرانيين قالوا له إن طهران لم تكن على صراع مع إسرائيل والولايات المتحدة إنما ترى أن عدوها الأول هو الرياض وبعض العواصم الخليجية.

حرب كاذبة